

للمرواحي الجواريتي
كارلوس وايلد أوزنبيلا
ترجمة
غيري صاحب

صرت ملاح

لكن جوعه كان من نوع آخر ، انه
جوع الأبق المطارد . الذي لا يستطيع
الدنو من الناس لتسول قوته . واذا
ما أسعفه الخطر وواتاه ببعض الطعام ،
اقبل عليه كالذئب الجائع المفترس
وقد وضع يده على خنجره ، وتمنطق
ببندقية .

وحزم خوان باراباس أمره هذه المرة
... ترى هل يخشى من الاعتقال ومن
الزج به في غياهب السجن ؟ لا . ان
في السجن راحة له . وقد قلب هذا
الموضوع . في جميع نواحيه ، ودرسه
بامعان وتبصر شديدين ، فقرر ان من
الحير له ، ان يستسلم للشرط ، بعد ان
أعياء البحث عن الغذاء والمأوى . أما
الآن فيكفيه ان يطلب لقمة من أهل هذه
المزرعة يسد بها رمقه . اذ لا يعرفه
فيها أحد .

وراح يدور حول السياج . جاسا
طريقه بعصاه . وراح يدلف الى الامام في
حالة يرتى لها ، وهو يتحسس بقدميه
طريقه ، مارا بدرب ممهد تحيط بها
مساحات مزروعة بالحضار .

وجاءته فكرة مفاجئة ، ترى هل
يطلب عملا من أهل المزرعة ؟

لا . . انها فكرة سخيفة . . وكيف
يستطيع ان يعمل الآن ، وقد اقعده
المرض ، وطفى في السن ، لاسيما وقد

وقف الرجل امام السياج ، ورفع
رأسه ، وجمع يده على شكل منظار
وصعها امام عينه اليمنى ، وأخذ يمين
النظر في الغرفة التي تطل نافذتها
عليه .

كان الرجل أعشى البصر . لا يكاد
يرى . ولذا لجأ الى حاسة الشم القوية
عنده ، يتلمس الرائحة من نيران الموقد
الذي اعد للطهي ، فتصاعد اللهب منه ،
يضى الى حد ما الغرفة المعتمة . التي
ترامت له منها اشباح . لا يستطيع
تمييزها . تذرعها جيئة وذهابا أمام وهج
النيران المتقدة .

واطل برأسه . وقد عد عنقه ، بحرص
المجرم الخارج على القانون ، يصغى
بأذنيه . بينما اتسعت فتحتا منخربيه
يعب فيهما الهواء عبا . كالكلب الذي
يتنح الأثر

وسمع صوت النسوة ، وهن يصفقن
بأيديهن ، أثناء اعدادهن الفطائر المحشوة
وشم الرائحة الدافئة المنبعثة من هذه
الفطائر . ومن صنوف الكعك الأخرى
ماحس بالجوع القاتل . انه لم يتذوق
الطعام منذ أمد طويل . وجوعه اشد من
جوع الفقير المتسول ، اذ ان هذا كثيرا
ما يعتمد على ما يسد به رمقه ، قبل أن
يصاب بالاغما . وقبل ان يعرض الجوع
لأمعاءه كعضة النعبان السوم .

صرم شبابه بل حياته كلها ، دون ان يمارس عملا .

اذن .. فالخير ان يطلب لقمة يسد بها جوعه .

ودنا من المزرعة . وقد بانث عليه الذلة والمسكنة ، واخذ يقدم ساقا ويؤخر اخرى ، شأنه في ذلك كالكلب الضال ، ورائه امرأة ، كانت تغدو وتروح أمام نيران الموقد .. فقالت .. ماذا تستطيع ان افعل لك يا سيدى ؟ - قطعة من الفطائر .. جزاك الله ! ..

ودعته المرأة الى الدخول ، فدلف الى الغرفة ، وانتحى يقتعد مجلسا له على الواح الخشب ، وقد اسند ظهره الى الجدار المبنى من الطين الجاف . وتطلعت اليه النسوة لحظات ، وفى عيونهن تعبير يفيض بالشك وعدم الاطمئنان . بينما شرع كلب على مقربة ، ينبج نباحا شديدا فيه كل مظاهر الغضب .

وجثن له بقطعة من اللحم المقدد الى جانب عدد من الفطائر . واخذ خوان باراباس ، يلتهم ما أمامه ببطء ، وقد غمرته السعادة فى ذلك الجو الهانىء متحررا من الخوف الذى يقلق جميع الحيوانات وهى تقبل على طعامها ، وغلبه النعاس ، فاتكأ برأسه على الجدار . وراح ينشد الاغفاء ، لكن المرأة التى دعته للدخول ، سرعان ما ايقظته بسؤال وجهته اليه قائلة .. ترى هل تقصد بعيدا ؟ ..

لقد جاء على قدميه من سالما . بعد ان خرج من المستشفى الذى تولى علاجه وراح بعد ذلك يضرب فى الارض دون ان يكون له هدف معين . وعندما يكون الانسان بلا مأوى وبلا عائلة أو طعام

وتكون الشيخوخة قد عاجلته ، فاصبح عاجزا عن العمل ، يغدو كل مكان على وجه الارض وطنا له ومأوى .

وتطلعت اليه المرأة بنظرة حانية عكست ما ابدهه نحوه من اهتمام وراحت تسائل نفسها .. ترى ما خطب هذا الانسان ؟ وما هى جريرته ؟ انه يحس ببرد قارص يبدو فى عينيه وكأنه قد استقر فيهما . وقد اصيب بهذا البرد الذى تصحبه الحمى احيانا من الاراضى الواطئة ، عندما كان يعمل فى غاباتها قبل بضع سنوات .

وسمع امرأة مكتنزة الشحم ، تبدو وكأنها كرة منتفخة ، وقد بلغت حدود الاربعين من عمرها تقول .. ان جميع اهل المناطق الواطئة يصابون بالحمى التى لا ينجو منها انسان .. ثم راحت تسأله .. ما اسمك يا هذا ؟

وراح خوان باراباس ، يعترف باسمه الحقيقى هذه المرة خلافا لعادته ، وقال .. خوان فارجاس فى خدمتك يا سيدتى

وتمتت المرأة المنتفخة بالاسم وتطلعت الى رفيقاتها تقول .. الم يكن زوج جوزيفا يحمل اسم فارجاس ؟

وفوجئ الرجل القدر ، ذو الاسمال البالية ، عندما سمع اسم جوزيفا وفتح عينيه المتورمتين ، ولكنه ظل صامتا لا يحير ببنت شفة ، وبعد لحظة تردد قال .. او هنالك من تسمى بجوزيفا تعيش فى هذه الناحية ؟

- اجل ، انها المرأة التى تدير بيت السيد مع ابنتها . لقد كان لها رجل ويقال انه هجرها ..

- وهل السيد موجود ؟
- لا ، لقد ذهب الى مدينة جواتيمالا

.. وجوزيفا الآن فى الزريبة . تعنى بأبقارها .

وراح خوان ينهض من مكانه مودعا ، وهو يقول .. ليرعاكن الله ، ويجزيكن عنى خير الجزاء .

وانتجه الى الزريبة ، حيث رأى جوزيفا فعرفها لتوه ، انها العجوز الحادة المزاج التى تنهال بوابل سبابها على الاولاد الذين يحلبون الابقار .. ووراءها ابنتها ابنة خوان باراباس ، وقد شبت حتى غدت فتاة فى عمر الورود .

ولم يحس خوان بأية عاطفة ، وهو يرى المرأة التى كانت فى يوم مازوجته والتى غدت الآن ضخمة الجسم ، مترهلته تعوى بصوت كصوت الأمر ، وتتخذ هيئة الحاكم بأمره فى المزرعة .

وتقدم منها ، ثم وقف أمامها وبادرها بقوله .. هل تعرفيننى ؟

ووقفت حيرى والدهشة تسيطر عليها ثم دنت منه ، حتى لمست يديها . وعرفته على الفور ، ولم تحاول اخفاء تقززها من رؤياه ، ثم قالت .. ومتى خرجت من السجن ياخوان فارجاس ؟ وسرعان ما لانت نظرتها ، كما اعتادت فى الايام السالفة ، أمام عيني المجرم المخيفتين ، وقالت بشئ من اللين .. وماذا تعمل هنا ؟

ورفع خوان يده الى فمه وفتحته . وأشار لها بأنه كان يزدرد الطعام ، ثم امسك بابنته ، واخذ يداعبها بحنان ، والفتاة تحاول الخلاص منه ..

وقال خوان : أهى الوحيدة ؟

وفهمت جوزيفا ما يعنيه فقالت .. لا ، هناك ، ولد آخر ، من سواك .. ثم انفجرت فى غضب ثائر ، واخذت تلوح

بيديها فى وجهه وهى تقول .. وماذا كنت تتوقع ، عليك اللعنة ! لقد تخليت عنى قبل تسع سنوات ، وهجرتنى .. أجل لقد تعادلنا .. وماذا كان بوسعك ان تنتظر ؟ ..

وانفجرت تبكي بكاء مرا .. وبدا كل شئ طبيعيا لخوان . فما حدث قد حدث ثم اخذ زوجته بين ذراعيه .

واقام الرجل الكفيف البصر فى المزرعة . وعين كواحد من موظفيها بتوصية من جوزيفا ، التى لم تحدد له اعماله أو واجباته ، كان رجلا على اهبة للقيام بكل ما يطلب اليه عمله وللتدخل فى كل شئ ، فهو يتقن كل المهن . وسرعان ما اصلىح كل باب فى المزرعة . ووضع كل قفل فى موضعه وسمر لكل جواد نعليه ، ورمم كل شئ خرب ، كما اخذ يعنى بالحديقة وما فيها من دواجن .

وراحت نساء المزرعة يداعبنه ويسمينه بالمرأة العجوز ، وهو يضحك منهن . انهن مسكينات ، لا يعرفن شيئا . انهن لا يعرفن انه امتهن اللصوصية وهو فى الرابعة عشرة ، ثم تحول الى قاتل ، والى رئيس عصاة من قطاع الطرق ، وبات فى وسعه الآن ، وهو ينعم بهذه الحياة الوادعة الهائلة ان يبتسم ساخرا من ماضيه .

ياحماقة الانسان ، عندما يقترب الجرائر . هاهو خوان يضحك الآن من اعماق قلبه ، بعد ان نسى ماضيه واصبح آمنا فى هذه المزرعة فى مطاردة الشرط . والفضل فى ذلك كله اليها أجل الى المرأة التى هجرها .

انها تقول له الآن .. اسمع ياخوان مهما كنت ، فقد طويت صفحة الماضى



ودفنته . ومن الخير ان تعمل الآن لابنتك وللطفل الذى يحبك ، رغم انه لايمت اليك بصلة . انك تكسب الآن رزقك بعرق جبينك ، وبشرف ، والاغنياء وحدهم هم الذين يخشون على اسمهم الطيب وشرفهم حتى ولو كانت خشيتهم هذه زائفة مصطنعة . وعندما يتيسر لك بعض المال . عليك ان تدخره ، لتعهد به الى محام يدافع عنك وينقذك من السجن . وعليك ان تبدل جميع طرائقك فى الحياة .

كان الصديق يطبع حديثها كله . انه غارق الآن الى اذنيه فى الشرف انه لم يعد يسلب شيئا من أى انسان . وقد بدأ حسن الطالع يبتسم له ، وللأشخاص الثلاثة الذين يحبهم ويحبونه .

وراحت جوزيفا ، تقيم له الدليل على واسع حكمتها ، عندما شرعت تلقى على مسامعه محاضرة ثانية بصوت يحمل الأمل والرجاء ، وتقول . . علينا ان ندخر بعض المال . ان الجميع يسرقون من السيد . ولن نسمح للآخرين بأن يأخذوا ما نستطيع نحن أن نأخذه . ان لنا حقا فيه أكثر منهم ، اذ اننا نحن الذين نقوم على خدمة المزرعة وحمايتها فأنت وحدك الذى يجب ان يغدو مراقب هذه المزرعة . ولذا علينا ان نتزوج فقد اخذ الناس يتهايمسون عن علاقتنا

ورفض خوان الفكرة . انه لا يستطيع الزواج ، وسامع اجراس الكنائس ولكنه اذعن اخيرا لارادتها امام الحاحها . وتزوجا . واصبح خوان بعد الزواج مراقبا نموذجيا فى مزرعة نموذجية .

وتمكن على حساب السيد . من بناء عش صغير له ولاسرته . اثته بأحسن الاناث والفراش .

ونما السوفر . وتحسن العمل . وساد النظام فى المزرعة . وسر السيد سرورا منقطع النظير . من الطريقة التى رأى منها خوان يدير مزرعته ويصون مصالحه خير صيانة . واخذ يكيل له المديح ، امام كل من يراه من اصدقائه ومعارفه ، وينعته بالصدق والامانة والنزاهة ، ونظافة اليد .

وحقا فقد مكنته خبرته السابقة كلص وقاطع طريق ورئيس عصابة من ادارة العمل بحزم ، ومن سياسة رؤوسيه ومنعهم من السرقة والغش والخدعة . وغضبوا فى بداية الامر من معاملته لهم فحاولوا العصيان والثورة . ولكنهم سرعان ما تبينوا قوة شخصية خوان فارجاس ، اذ تمكن بضربة واحدة من يده ، من اطاراة الفأس التى كان يحملها أكثر العمال فتنة ، وأحبهم للشغب والعصيان من يده ، وقذفها بعيدا . وهابه العمال ، بعد أن تبين لهم ، ان ليس بينهم من يستطيع مبارزة المراقب العجوز . او مقاومة يده القوية ، او محاكاته فى اصابة الهدف بإطلاق النار أو خذف الخنجر .



وسيطر عليهم الخوف منه . وسرعان ما انقلب الخوف الى ولاء وحب وعبادة للرجل . لقوته ورجولته . وتطورت العبادة الى وله شديد يحس به ابناء الريف عادة بغرائزهم لكل من يتولى قيادهم .

واصبحوا جميعا ينادونه بالسنيور خوان ، ويظهرون له كل تحية واحترام وعلقت زوجته على هذا التطور بقولها : لو لم تكن جاهلا ، لغدوت جنرالا وقائدا عظيما . ورد عليها العجوز بقوله ... او زعيما او رئيسا .

وكانت ابنته روزاليندا ، الشيء الوحيد الذى يقض عليه مضجعه ويقلقه فقد بلغت الخامسة عشرة من عمرها ، وتفجر جمالها الريان ، عن فتنة طاغية أسرت قلب السيد صاحب المزرعة . وكانت المسألة على جانب كبير من التعقيد لاسيما وان الأم كانت تقوم بدور الوسيط بين السيد وابنتها .

وتقدمت جوزيفا ذات يوم من خوان على غير عادتها ، وهى تسكاد تفطر رقة وعذوبة لم يعهدهما فيها من قبل وختمت مداعبتها العاطفية له بقولها لقد وقع السيد فى غرام روزاليندا فلو تدبرنا ترتيب علاقة بينهما ، لوقعنا على منجم من الذهب .

وتفجر غضب الرجل العجوز وهو يقول ... ياللعذراء ! لقد سكنت على مضض على الولد الذى جثنتى به . ولكن موضوع روزاليندا ... شىء آخر لا استطيع ابتلاعه ابدا !

وانهال على زوجته يضربها ضربا مبرحا ، وادمى جسدها بلكماته وركلاته القوية ، ثم خلفها وقد تورمت بعض

اجزاء جسدها ، تبكى وتنتحب وهى مطروحة على أرض البيت .

وتوالى الايام ، وهو لا ينفك يضربها بين الفينة والفينة . بينما ظلت تهدده بطردهم جميعا من المزرعة ، اذا لم يذعن لرغبات السيد المشتعلة . لكن خوان ظل على موقفه ، لا يتراجع عنه قيد شعرة

وراح يقول لها ذات يوم ... لن أضحي بابنتى ابدا . واذا كان الشرف يقوم على اشلاء مثل هذا العار فسأعود الى الطريق اقطعها ، واسلب الناس ما يملكون !

ثم اضاف الى ذلك قوله ... هذا هو الخطأ فى تعليم الشرف للناس . لقد سرقت . وكان هذا حقا ، وكنت وغدا وكاذبا ، ومنافقا ، ولن أنكر ذلك ولكننى اقول لك ... ان كل اثم ارتكبته فى الماضى يقلقنى ، ويحز فى نفسى الألم ولكننى لن ابيع فلذة كبدى ، وكبدك قولى عنى ماشئت ، فانا رجل شرير وسىء ، ولكننى سأحافظ على شرفى وقد تقولين انى بليد ، ولكننى سأظل على هذه البلادة ، وقد انتهى نهاية اسوأ من البداية التى كنت منها . اذهبى عنى بربك . قبل ان اذبحك . وعليك وعلى الفتاة ، والسيد ان تكونوا حذرين ، فان خوان براباس لم يمت .

وتمتت جوزيفا ، وهى تمسح عينها بمريلتها قائلة ... اجل ، لقد مات ... لقد مات يا عزيزى ... لانك تريد ان تصلحنا جميعا . لقد كنت افكر ياخوان منذ عهد بعيد انك تصلح ان تكون جنرالا فقط . اما الآن فاننى ادرك انك تصلح ان تكون قديسا ، أو ملاكا ... بورك فيك ياخوان ... يا زوجى العزيز .